

## الحكاية وأزمة الممكن

في رواية "هوت ماروك" لياسين عدنان

محمد الدوهو

تولد الرواية عندما تبدأ الكلمات بالانسحاب أمام الواقع<sup>(1)</sup>، هذه توطئة جامعة مانعة لقراءة رواية "هوت ماروك Hot Maroc" للكاتب المغربي ياسين عدنان<sup>(2)</sup>. ينبني المنظور السردى في هذه الرواية على رؤية سردية برانية الحكى خارج حكاية، أي أننا أمام قصة يروها راو بضمير الغائب لا يشارك في أحداثها. إنه يحكى عن شخص -أشكال لا يشكلهم هو بل تشكلهم السيرورة التاريخية التي لا يستطيع أن يوقف سيولها الجارفة. فأين تتبدى أزمة الممكن في رواية "هوت ماروك"؟. إنها تتجلى في السيرورة الوجودية لرجال العوينة كعلامة في علاقتها بالسيرورة التاريخية والسياسية للسياق السياسي والتاريخي الذي يوجد فيه، إنها سيرورة انحطاط<sup>(3)</sup>، إنه شخصية مرآوية تنعكس فيها سيرورة أزمة السياق الذي يعيش فيه، سياق يعيش أزمة ممكن تاريخي وسياسي. لا يستطيع رجال أن ينتقل من حالة الإمكان إلى الفعل وتحقيق ما يصبو إليه. إنه بطل فاشل تاريخيا.

منذ البدء يحكم ياسين عدنان على بطله بالفشل والعقم التاريخي، بطل الراوي بطل لا بطولة له. يحقق قوته في الحلم لا في الواقع، يقدمه الراوي ومنذ صباه كأننا ضعيفا أمام أقرانه، كيف لا وهو الذي "يصفى كل حساباته في الحلم"، ذلك أن الركبتين اللتين تصطكان من الخوف في الواقع تصيريمناهما جبارة في الأحلام (ص21).

يعرف الراوي أن رجال شخصية مشكلة قبليا، أي قبل أن يشتغل عليها كعلامة سردية، ومن تم تتكفل الحكاية بتسريد سيرورة هذا التشكل القبلي عبر مَفْصَلة المحكى إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة الجامعة وما بعد التخرج من الجامعة والحصول على إجازة في الأدب العربي. لكن قراءة حياة رجال على ضوء هاتين المرحلتين يطرح مسألة تأهيل البطل. رجال وكما سلف الذكر كائن فاشل، لا يرتبط هذا الفشل بأصوله

الاجتماعية وانتمائه إلى القاع الاجتماعي، بل إن فشله يجد مسوغاته في كونه ينتهي إلى سياق سياسي وتاريخي لم يؤهله تربويا وسياسيا لخوض معركة التاريخ والحضارة. أزمته هي أزمة نسق تربوي وسياسي يرفض تربية النوع البشري، وتركه عرضة لقراضة الاستهلاك والسمسرة والنفعية السياسية الموغلة في نسيان الفرد إلى حد الحيوانية.

### 1-مرحلة الجامعة والتأهل لخوض معركة الحياة والتاريخ

يقول الراوي ملخصا مساره التربوي والجامعي قائلا: "لم يلتحق رجال بحلقات النقاش في ساحة كلية الآداب طلبا للنضال ولا حبا في السياسة بدليل أنه قضى ثلاث سنوات في الكلية لا يقرب تلك الحلقات ويتفادى حتى الممرات المؤدية إلى الساحة التي تنعقد فيها، لكن حين وجد نفسه مطرودا بعد فشله بثلاثة سنوات مواسم في اجتياز السنة الأولى من شعبة التاريخ والجغرافيا، لم يكن أمامه من خيار سوى تقديم ملفه للجنة الحوار الطلابية التي افتتحت الموسم بمعركة نضالية بغية إرجاع المطرودين" (ص27). يتوج رجال نضاله في منظمة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب بقبول تسجيله في شعبة الدراسات الإسلامية، لكن ما يثير الانتباه في رواية "هوت ماروك" أن شفرة رجال الوجودية مبنية على الازدواجية التي تجعل منه إنسانا وحيوانا في الآن ذاته، مساره الوجودي مسار صيرورة تحول إلى حيوان (3)، ذلك أن هذا التحول يجد له امتدادات في ماضي رجال إذ لم "يكن يفهم لماذا يشبه البعض بالقرود، ولا كيف يصفه البعض بالجرذ، تضايقه هذه الأوصاف غالبا ما يتلقاها كشتائم، لكنه لا يتأثر بها...رجال يجد نفسه أقرب إلى السنجاب منه إلى حيوان آخر... فهو ابن عائلة أرفع شأنًا، دعك من الذيل، صحيح أن ذيل الفأر رفيع وطويل فيما يزهو السنجاب بذيل كثيف، لكن الفرق الأكبر يكمن في الأخلاق والسلوك وفي العين وكذا في التطلعات العميقة للحيوان، مما يؤثر بشكل لا شعوري على سلوك الإنسان المرادف له وأدائه في العمل والحياة مثلا" (ص22-23). والنتيجة يتحول الجميع في منظوره ورؤيته للعالم إلى كائنات-حيوانات، وتخضع تسميات رجال للكائنات البشرية لاستثمار ذاتي ينهض على صناعة لهذه الأشكال-الكائنات إذ "كان بسهولة يعثر لكل من يتحرك أمامه من الادميين على الحيوان الذي يقابله وحين يتعرف على الشخص ويستوعب منطق تفكيره وأسلوبه في الحجاج أو مزاجه في السخرية يتأكد من حكمه الأولي، وفي حالة الخطأ يعيد تكييفه باختيار حيوان

آخر يكون في الغالب من نفس الفصيلة التي اهتدي إليها أول مرة، وهذا على العموم علم لا يدرس في الجامعات، وإنما هو موهبة ربانية جعلت رجال منذ طفولته يبحث في وجوه رفاقه في الفصل وجيرانه في العي عن حيوان مضمّر. هكذا عاد البشر إلى حيواتهم الأصلية في عقل رجال وخياله، وكذا في أطلسه الخاص بالعالم والكائنات" (ص23).

قد يؤول القارئ استحضار موضوعة الحيوانية في رواية "هوت ماروك" على أنها "مزرعة حيوان" تحكي قصة بشر تحول إلى قطيع حيوان تحكم صيرورة تحولاته سلطة متعالية لا يعرف رجال وكل الشخصوس التي تدور في فلكه مصدرها المجهول، ومما يجذر ذكره في هذا المقام أن هذه الحيوانية أصبحت تيمة (موضوعة) مهيمنة في الكتابة الروائية المغربية، خاصة إذا ما تذكر القارئ نصوصا روائية متميزة كـ "أحلام بقرة" لمحمد الهراي و "سيرة حمار" لحسن أوريد وقبلهما بزمن كتابات محمد زفاف حول الهامش حيث تتخلل تيمة الحيوانية بامتياز نصوصه الروائية.

هكذا تتحول كل شخصوس رواية "هوت ماروك" في خطاب رجال إلى حيوانات، يتطابق جوهرها وجوهر تسمية الحيوان التي يمنحها إياها رجال، الكائن -الحيوان (السنجاب). لا يهتم رجال بالمؤسسات السياسية الحزبية والانتماء إليها. ما يهيم هو تحقق مبدأ التطابق بين الاسم والمسعى، بين الإنسان والحيوان" لم يكن يصنف المتدخلين في حلقات الاتحاد الوطني لطلبة المغرب "حسب انتماءاتهم الفصائلية كما جرت العادة، ولم يكن يهتم بالاصطفاف الحزبي والولاء الايديولوجي، بل كان يذهب مباشرة إلى الصميم، يدقق في الشكل، الهيئة، علاقة العين بالحاجب، حجم الفم، استدارته، مدى نتوء الأنف أو سعة المنخرين، الموقع الذي يحتله الأنف وسط الحنك الصلب بين الوجنتين، هذه التفاصيل هي التي تهتم رجال أساسا. ثم تأتي الخصائص الجوهرية التي تجعل الصلة ما بين المتحدث وجوابه المستخفي أكثر وضوحا، الحركات، السكنات، النظرات، الابتسامة، كيفية الوقوف، طريقة الكلام، حركة اليدين، تقطيب الحاجبين، سرعة التنفس، إضافة إلى الأسلوب ومنطق الخطاب" (ص24)، وهكذا يمتد مبدأ التطابق بين الإنسان والحيوان ليطلق كل الكائنات البشرية التي يصادفها رجال في الجامعة أو خارج الجامعة ليكشف عن وضع إنساني تحول فيه البشر إلى إنسان-حيوان يتحكم فيه حيوان أسطوري متعال، لا يشير الراوي إلى هذا الحيوان-الأسطورة في

الرواية، ولكن القارئ مدعو للإيمان والتصديق بوجوده على اعتبار أنه قابع في لاشعور رجال يملي عليه التسميات الحيوانية، بدءاً من أبيه الذي كان "سرغوفاً بأوراقه الثبوتية طويل ونحيف كالسرغوف" (ص105)، أما أمه فتشبهه بجعة حقيقية "فمها واسع عريض أما مرض الدراق الذي ظهرت أعراضه عليها مباشرة بعد الزواج فقد جعل غدتها الدرقية تتضخم لتأخذ شكل ورم في منطقة الرقبة تبدو معه كالحويصلة الكبيرة التي تحتفظ بها البجعة أسفل المنقار، أيضاً بسبب عجزتها العظيمة، كانت حليلة تجد صعوبة في الوقوف، وحتى تستوي على قدميها، تمشي بطريقة مضحكة تماماً كالبجعة" (ص105).

لا تجد هذه الحيوانية تفسيراً لها في الوضع الإنساني البئيس الذي يعيشه أب وأم رجال بل إن هذا البؤس الوجودي في الزمان والمكان يطال شجرة أنسابه الذي تكلفت بها فأس الجفاف والسيبة وطغيان القيادة (ص72)، وعليه "لا يجد رجال تفسيراً لكل الهزائم التي حاقت بأهله وعشيرته، منذ أيام السيبة وحكم القيادة حتى اليوم سوى النحس" (ص76). لنلاحظ أن الراوي يقرن أزمة الحاضر باستمرار الماضي في حياة رجال، وإلا بماذا يمكن تفسيراً عبارة "حتى اليوم"؟ هذا تساؤل يرتبط ببنية الزمن في رواية "هوت ماروك" لكنه تساؤل يكشف عن أزمة الممكن في صيرورة التحولات التي عرفتها الدولة في العالم الثالث. وتمتد هذه الحيوانية لتطال أيضاً رفاق الجامعة، فعتيقة المناضلة في حلقات الاتحاد الوطني لطلبة المغرب تتحول إلى بقرة، فهي هذه القروية القادمة من أحواز مراكش "ثورية بالفطرة تتصرف مع الرفاق باعتبارها أما. جسدها القوي المتدفق وتقاطيع وجهها الصبوح المستغني بالسماحة عن الذكاء وصفاء عينيها الواسعتين، كل ذلك قاد رجال إلى التفكير فيها منذ البداية كبقرة" (ص25). والأدهى في منظور رجال أنها، والعهد على ما يرويه طلبة فصيل العدل والإحسان معارضي طلبة اليسار، أن جسدها تحول إلى ميدان لتحقيق الشيوعية الجنسية، إذ أنها حين تسكر مع الرفاق يمارسون عليها الفاحشة تباعاً وهي راضية مرضية لأن "مبادئ الشيوعية الجنسية التي تشبعوا بها تلزمها بحل المشاكل البيولوجية لرفاق الدرب، وهو ما جعل رجال يطمئن إلى "صواب تصنيفه، فالبقرة تستخدم في الحرث وشق الأرض، في الجرو وإدارة الطاحونة، ولا تمنع

ضرعها وحليها عن عجل ولا آدمي ، كما تمنح بعد الذبح لحمها وشحمها بل وجلدها أيضا لمن يطلبه فما الذي يمنع الرفاق من الوفاء لطبيعتها؟" (ص25).

وعلى غرار عتيقة يطلق رجال على الرفيق أحمد اسم الضبع، وهكذا وأمام ولع أحمد الضبع بالنبش في مقولات ماركس، وانجلز، لينين، وماوتسي تونغ ، مهدي عامل والمهدي بنبركة ، يصبح ولعه بمقولات الأموات الثقافية شيئا بولع الضباع بنبش القبور، أما الرفيق عزيز السلوقي، المولع بنقطة النظام، ويرى لها أهمية قصوى في حلقات النقاش، بين فصائل الطلبة برحاب كلية الآداب بمراكش، فهو، كما يقول الراوي، يفضل اقتناص نقطة النظام الحاسمة لصالح فصيل حزب التقدم والاشتراكية، لكن رجال المولع بالتصنيف والعارف بطباع الحيوانات يعرف أن "السلوقي مهما كبر رأسه واستدار يبقى سلوقيا. كل حيوانات الدنيا تصيد لنفسها إلا السلوقي، فقد اعتاد أن يصيد لصاحبه، وله بعد أن ينتهي رحلة الصيد ما يوجد به هذا الأخير من ضييع الطرائد، إلا أن وفاة والده جعلته يعرف حرارة الفقد ومرارة اليتيم، وجعلته يراجع مقولاته الفكرية ويتجه طوعا نحو التأسلم لأنه "أكتشف أن الدنيا إلى زوال وكل من عليها فان إلى آخره، ليفاجأ" السلوقي الجميع وهو يسجل نقطة نظامه هذه المرة لصالح طلبة العدل والإحسان واضعا براعته النظرية في التعقيب والتعليق رهن إشارة الفصيل الإسلامي (ص27). أما الرفيق المختار فهو جرد في حين ينعت رجال الرفيق مراد بالجربوع، وهما بذلك ينتميان إلى جنس القوارض (ص114). هل لهذا المنطق السردى من تفسير؟ الجواب إن رجال حيوان سياسي واجتماعي يتأمل عجزه وحيوانيته في مجاليه في ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن العشرين، إنه في سيرورته الوجودية شبيه بفراشة في طريقها إلى المسلخ، وهو تشبيه يحيل إلى عنوان لديوان شعري كتبه عدو رجال ، وفيق الذرعي.

ويمتد عنصر المشابهة بين الإنسان والحيوان ليطل هذه المرة أستاذ رجال بوشعيب المعروفي، أستاذ الأدب العربي، الذي لعبت الصدفة في ولوجه لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، وبما أن الأستاذ بوشعيب حول حلقاته الدراسية إلى ميدان لتشغيل مقولة "الشيخ والمريد"، فقد وجد رجال مطابقه الحيواني: الفيل، الشبه واضح بين المشبه والمشبه به، هو فيل حقيقي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، بحيث لم

يجد رجال أدنى صعوبة في اصطیاد حیوانه، "كتلة لحمية بجلد سميك وساقان غليظان متورمتان كأن الرجل مصاب بداء الفيل، وفرة شحمه تمنعانه من أن يدير رأسه بشكل كامل حتى ولو شبت النار في جلبابه الأبيض من الخلف، لذا يكتفي كالفيل بمراقبة ما يجري أمامه على جانبه فقط". نزع الفيل لدى الأستاذ بوشعيب المخلوفي جعلته يتحول إلى مريد(فيل/أستاذ) لأن الوسط الذي "يفضل السي بوشعيب أن يعيش فيه ويشغل، شبيه إلى حد كبير مجتمع الفيلة بتراتبته الصارمة التي تقوم أساسا على احترام الصغير للكبير. حيث تحتل الفيلة رتبها داخل المجتمع حيث السن يتدرج لا يمكن القفز عليه. هكذا تتلقى الأفيال الصغيرة الدروس يوميا ويكون عليها تعلم القواعد الاجتماعية وممارسة آداب الجماعة"، وهذا النظام/الانضباط الذي نجده محترما بدقة في مجتمع الفيلة ما يفتقده المخلوفي مع الأسف في مجتمعنا البشري التافه، وداخل هذه الكلية بالذات لذا حرص على أسماء طلبته بصرامة ليؤسس معهم بدأب مجتمعا فيليا صالحا، لا مجال فيه لمتنطع غر أو لمدع مغتر" (ص44)، أما حسنية زميلة الصف الدراسي الجامعي وزوجة المستقبل فيما بعد، فلم تسلم هي الأخرى من تصنيف رجال. مصادفة اكتشف حيوانها العميق، ظل رجال يطارد على امتداد الشهور الماضية "حيوان حسنية في ملامح وجهها في حيرتها وصمتها، وفي ملامحها وكلامها في مشيتها وطريقة جلوسها، في حركاتها وسكناتها، في الكتب والأحلام، دون جدوى، والآن تخرج حليلة عرضا أثناء بثها التلقائي حيوان حسنية من جحره بلا عناء (ص135)، حيوان. لم يكتشفه إلا بعدما حدد عقد النكاح، لكن رجال الشبيه بالأصم في الزفة، لم يكن يعرف، وهذا سر يفضيه الراوي إلى قارئه، أن مشغله عماد القطيفة، هو من اغتصب قنفذته (ص515)، وأن البضاعة قد تم العبث بها دون أن يدري، لذا كان على الحاج القطيفة انتظار حسنية للحصول على الإجازة في الأدب العربي ليشغلها كمكافأة عن صمتها على الفضيحة.

## 2-مرحلة المابعد-واستمرار سيرورة أزمة الممكن

معظم هذه الشخصوس ستصاحب رجال في رحلة بحثه المحكومة بسيرورة تاريخية وسياسية، ستستمر في لعب "الكوميديا الحيوانية" (ص375) كما يسميها الراوي، صحيح ستظل مرحلة الماقبل-مرحلة الجامعة مشدودة تاريخيا وسياسيا إلى مرحلة تاريخية كان

الخطاب السياسي، على الأقل، شفافا، وواضحا، لكن رواية "هوت ماروك" تكتب عن تحول من مرحلة تاريخية إلى مرحلة أخرى، التحول انتقال من حالة إلى حالة أخرى في إطار تطوري يتم بموجبه تحقيق القطيعة مع مفاهيم ومقولات ظلت تتحكم في تسيير الكلية الاجتماعية، وذلك لخلق جدل التجاوز والاستمرارية في الصيرورة الاجتماعية، عبر خلق وإبداع تصورات ومفاهيم ومقولات سياسية وتاريخية وثقافية جديدة توجه الكلية الاجتماعية، لكن القارئ سرعان ما يكتشف أن شخوص النص حكم التاريخ عليهم بالفشل، لم تكن مؤهلة، لخوض معركة التاريخ والتحول.

أيسر مدخل لفهم ذلك تبقى السياسة، ذلك أن فهم صيرورة أزمة رحال الوجودية تكمن في صيرورة الواقع التاريخي، بحكم أن التحول كان محكوما بالبراغماتية (النفعية) السياسية التي جعلت الطبقة المتوسطة المحسوبة على اليسار بمجرد أن وصلت إلى السلطة تتنكر لمبادئها، ألم يقل أحد أبطال الرواية في لحظة ما أنه "واحد من شببية المغرب المحبطة التي كفرت بالسياسة والسياسيين وهجرت بشكل جماعي الأحزاب ومقراتها، وصار العزوف قرارها النهائي الثابت أمام كل الاستحقاقات الانتخابية الفاقدة لأية مصداقية"، ركبت كل الأحزاب السياسية سفينة النفعية، وظل الجميع يتفرج على فصول المسرحية السياسية التي رفع ستارها لمشاهدة ما حدث وما يحدث، فالاشتراكيون وبعدها انقلبوا على مبادئهم حين تحملوا المسؤولية في حكومة التناوب "صاروا أكثر توحشا من أكثر الليبراليين وهم يشرفون بحماس منقطع النظير على بيع ممتلكات الشعب وتفويت مؤسساتها الوطنية للأجانب والمحظوظين، لقد طبخوا رؤوسنا أيام النضال بشعارات تبشر بالتأميم وتذم الخوصصة وتحذر الجماهير من المؤسسات الدولية ومن بورجوازيتنا الوطنية ومن الليبرالية المتوحشة، لكن ما أن وجدوا أنفسهم يحكمون إلى جانب الحسن الثاني عام 1998، حتى تحولوا إلى تلاميذ نجباء لصندوق النقد الدولي وكانوا وراء أكبر عملية تفويت لمؤسسات القطاع العام شهدتها تاريخ المغرب المعاصر"، أما الشيوعيين فقد تحولوا، وهم الذين ينظرون إلى الدين على أنه إيديولوجية الطبقة المهيمنة، وبجرة قلم إلى حجاج "تابوا إلى الله، جميعا وصار الحج إلى بيت الله شرطا أساسيا للحصول على مطلب الأمين العام لديهم، حتى أن لقب الحاج في لجنهم المركزية أكثر تداولاً من لقب الرقيب" (ص367).

لم يكن الإسلاميون هم الآخرون بعينين عن مبدأ النفعية، فهم يعيشون مفارقة الواقع والشعار في خطابهم، "تحدثهم عن التنمية ورهاناتها فيحدثونك عن الجنة ونعيمها، وتسألهم عن الفساد والاستبداد فيذكرونك بجهنم والجهاد وتجادلهم حول الديمقراطية فيأمرونك بطاعة أولي الأمر، لكن ما أن تختلف معهم حول فكرة أو موقف، حتى يحشروك في زمرة المغضوب عليهم والضالين من العلمانيين الملحدون ويؤلبون عليك الغوغاء والدهماء وعمامة العامة، وقد يتطوع أحد شيوخهم فيبادر إلى تكفيرك وإهدار دمك إذا اقتضت حساباتهم السياسية ذلك، حتى الديمقراطية ليست في ملتهم أكثر من شكلية يتعاملون معها ببراغمية، ومجرد مطية يركبونها إلى السلطة. وما إن تستتب لهم الأمور حتى يشهروا في وجه خصومهم ورقة القرب من الله والحكم بأمره و التقيد بشريعته، ويرفعون شعارهم الخالد "لا انتخاب لا دستور، قال الله قال الرسول" (ص367).

أمام هذا الوضع ما ذا يتبقى؟ الجواب يرتن بصيرورة الممكن السياسي في صيرورة الخطاب السياسي، فلا أحزاب المعارضة ولا أحزاب السلطة، لم تفتح صيرورة الخطاب السياسي والتاريخي على عقد سياسي مبني على شرعية الاختلاف التي تجعل الديمقراطية ممكنا تاريخيا يتحكم في صيرورة الكلية الاجتماعية. إذا كان اليسار (المعارضة) قد تنكر لمبادئه، كما سلف ذكره في الرواية، في لحظة تاريخية مهمة من تاريخ المغرب (تجربة التناوب)، فلأن أحزاب السلطة هي الأخرى ساهمت هي الأخرى في وصول خطاب المعارضة إلى حالة التنكر للمبادئ الاشتراكية والمساهمة في أكبر عملية بيع وخصوصة ممتلكات الدولة، كيف لا و"الأحزاب المخزنية التي خرجت من رحم الإدارة المغربية" انتهت صلاحيتها من زمان ولم يعد أحد يرجو منها خيرا ولا شرا، وإلا فماذا تتوقع من أحزاب لم تتخذ طوال مسيرتها أي قرار سياسي خارج التعليمات والإملاءات؟ أحزاب ظلت تنتظر الإشارات من أعلى .." (ص368).

إذا كان دور اليمين والمعارضة (اليسار) غائبا ومغيبا، ماذا يتبقى إذن؟ ما يهم هو أن المتخيل السياسي في رواية "هوت ماروك" يكشف للقارئ أن قراءة الصيرورة الوجودية لرجال والشخص الأخرى تخضع لمنطق التحول المحكوم بالنفعية، لكن المثير في هذه التحولات هو رجال نفسه الذي وجد نفسه مكرها لا بطل يشتغل في "مقهى انترنت" لعماد



القطيفة مغتصب حسنية كما سلف ذكره، ليجد نفسه، كما يقول يقول الراوي، "يدخل العلبة الزرقاء" (ص169)، ويتحول إلى كاتب-في خدمة سلطة خفية، وهي مهنة أفلح في إنجاز مهمتها عندما كان طالبا، وتسبب في إبعاد وتدمير كل من وفيق الدرعي (ص60)، وفؤاد الوردى من صفوف الاتحاد الوطني لطلبة المغرب (ص70)، مهنة استمرت بعد تخرجه من الجامعة من طرف المخبرات وتحديدا من طرف رفيق الجامعة الرفيق المختار. هناك تفاصيل أخرى متعددة في حياة رجال تبقى هامشية في علاقته بالبنية السياسية العميقة التي تؤثت في العمق سؤال الممكن في البنية الزمنية لرواية "هوت ماروك"، ذلك أنه وفي إطار أزمة الممكن التي يتتبع ياسين عدنان جذورها السياسية والتاريخية، يشكل بروز حزب الأخطبوط وحزب الناقة على ساحة المشهد السياسي، تنويجا على مستوى المتخيل السياسي لصيرورة أزمة الممكن في حياة الفرد والجماعة، والاستمرار في تثبيتها في كيان الأفراد العامة والخاصة منهم على حد سواء، وما يثير الانتباه في هذه النفعية السياسية هو انخراط رموز ثقافية وسياسية معروفة في إعادة إنتاجها. هذا منطق ميكافيلي، لكن ما لم يكن رجال يتخيل للحظة واحدة أن الفيل أستاذ بوشعيب المخلو في شخصيا سيكون في الطليعة إلى جانب السلوقي الذي يبدو أنه تجاوز الهزة التي تعرض لها إثر وفاة والده، وعاد للصيد من جديد بجانب الأخطبوط (ص455).

تحول حزب الأخطبوط إلى سفينة ركبها كل من أراد أن ينجو من طوفان النفعية السياسية، وما لم يتوقعه رجال هو أن تمتد ممصات الأخطبوط إلى الممكن الآمن الذي يلبد فيه هنا في السبيل ليصير في قلب الحدث (ص447)، إذ اصطف الجميع وراء عماد القطيفة لإنجاح ترشحه في الانتخابات باسم حزب الأخطبوط الذي كرس على مستوى القيم السياسية استمرارية الفراغ الإيديولوجي في علاقة الأحزاب السياسية بالسلطة سواء في مرحلة الماقبل أو المابعد، وإلا بما نفسر قول الراوي على لسان أحد شخوصه "اليوم لا أحد يهتم لا بيمين ولا بيسار، حتى الأحزاب لا أحد يهتم لأسمائها أصلا ليدقق في خلفياتها الفكرية والإيديولوجية" (ص215)، الأزمة أزمة تاريخانية متجذرة في كون الحاضر/الراهن امتداد للماضي، في أزمة النخب والأحزاب السياسية والسلطة في تطوير أنساقها السياسية والإيديولوجية ومقولاتها السياسية، وترسيخ عقد سياسي واجتماعي مبني على الشرعية السياسية التي تفتح صيرورة المجتمع على التطور والبحث عن

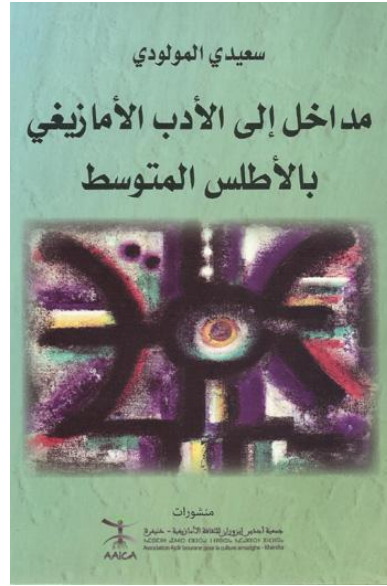
تحولات يساهم فيها جميع الأفراد، لذا يشعر القارئ في رواية "هوت ماروك" أن لاشيء يتغير ويتطور، ما يتغير هو منظور السلطة، هذا الظاهر والخفي في الآن ذاته، في صيغ احتوائها للتحولات ومصائر البشر.

يبقى الصوت النشاز في الرواية هو المحجوب ديدي الملقب بأبي قتادة، الذي يكشف شخصه عن عبثية الوضع الإنساني في تفسير حالة الإشباع التي وصلت إليها أزمة الممكن في رواية "هوت ماروك"، وغدت تقتضي حالة التحول، وضعية جعلته يتقمص دور "النبي" في مجتمع يعيش أزمة ممكن في عصر الرقمنة، إذ تلقى رسالة غريبة، كما يقول الراوي، تقول: "عبدى الصالح المحجوب بن يامنة المكفى بأبي قتادة المراكشي، سلامي يغشاك وعيني ترعاك، وبعد: لا تستغرب رسالتي ولا تستكثر على نفسك أن يخصك ربك رب العزة بهذا الإيمل دون العالمين. إن لي في حكمتي شؤوننا لا يدركها العباد فاستغفروني وعدني من الشيطان الرجيم أيها العبد الصالح، لقد ختمنا الرسائل بذكر حكيم حفظناه في كتاب مبين، وبرسول أمين جعلناه رحمة للعالمين... لذلك اصطفاك يا محجوب ضمن ثلة من عبادي الصالحين لترفعوا رايتي وتذكروا برسالتي وتستغفروني إني كنت غفارا" (ص423)، حتى إذا جاء اليوم الموعد خرج المحجوب إلى ساحة جامع الفنا بمراكش لخوض معركة المواجهة لتغيير الأحوال منفذا وصايا الإيمل، الرسالة الالكترونية التي توصل بها، ولكن من هو العامل الشرير (المعاكس) الذي يقف عقبة كأداء دون تحقيق التغيير؟.

تبدو الرسالة التي تلقاها المحجوب من تدبير مجهول، لكن الراوي يطرح من خلال محكي المحجوب أزمة الممكن في مجتمع جرفت فيه سيول النفعية السياسية كل شيء، و أصبح المطلق سيد الكلمات والأشياء في الزمان والمكان، لأن الأزمة عمودية وأفقية، فلا السلطة تطورت ولا المجتمع هو الآخر تطور ليتحول المحجوب إلى دون كيشوط، امتشق سيفاً خشبياً وتأبط مصحفاً، وخرج إلى ساحة جامع الفنا ليحارب طواحين الوهم، أملا في تحقيق المطلق، بعد أن يتحول السيف الخشبي إلى سيف بتار، وتستحيل صفحات المصحف إلى أجنحة من نور تحمله، كما يقول الراوي "رويدا رويدا، فإذا هي بجاه السميع العليم فرس مجنح من أفراس الجنة" (ص431)، ستحلق به في ساحة جامع الفنا ويبدأ في حصد الرؤوس ميمنة وميسرة.

- 
- 1-Maurice Blanchot, L'arret de mort, Ed Gallimard, 1973, p10.
  - 2-ياسين عدنان، هوت ماروك، رواية، دار العين للنشر(مصر)، ط1، 2016.
  - 3-أستفيد هنا من عمل كلود بريمون المهم "منطق الحكى"، دار سوي، 1973.
- Claude Bremond, Logique du recit, Seuil,1973-
-

صدر حديثا



صدر حديثا

